صيغ توجيه الأقوال التفسيرية عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير

Formulas for directing the explanatory sayings of Al-Taher bin Ashour in the interpretation of Tahrir and Enlightenment

إعداد

زينب بنت سلمان بن جمعة الحزيم

Zainab bint Salman bin Juma Al-Hazeem

قسم الدراسات القرآنية - كلية التربية - جامعة الملك سعود

Doi: 10.21608/jasis.2022.264462

استلام البحث	٢٥ / ٧ / ٢٠٢٢
قبول البحث	١٥ / ٨ / ٢٠٢٢

الحزيم ، زينب بنت سلمان بن جمعة (٢٠٢٢). صيغ توجيه الأقوال التفسيرية عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير. **المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية**، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، مج (٦)،ع (٢١)، أكتوبر ، ص ص ٤٥- ٧٤.

http://jasis.journals.ekb.eg

صيغ توجيه الأقوال التفسيرية عند الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير

المستخلص:

يتضمن البحث نبذه مختصره عن الطاهر بن عاشور ، وسأذكر كذلك – باختصار - مقدمات تفسيره التحرير والتنوير ، وسأبين أيضا أهمية توجيه أقوال المفسرين ، باعتباره من العلوم الجليلة المتعلقة بكتاب الله ، واستنباط أحكامه يتوقف على فهم أدلة الأقوال وتوجيهها توجيها صحيحا ، بالإضافة إلى أن إتقان مهارة التوجيه يعين المفسّر على التفسير الصحيح ويمكنه من نقد أقوال المفسّرين ، وإدراك كثيرا من حجج المفسرين ، وبيان علل الأقوال التفسيرية ، ومعرفة أسباب اختلاف المفسرين ، فلا تكاد تخلو مسألة من مسائل الخلاف في التفسير من حاجة إلى توجيه بعض الأقوال فيها ، ومعرفة مآخذها وعللها . مما سيوفر قاعدة بيانات مهمة جداً للعاملين في مجال التفسير ، واثراء المكتبة الإسلامية بمزيد من الأبحاث المعينة على تدبر القرآن ، كما سيبين البحث تميز ابن عاشور في توجيه أقوال المفسرين فجميع توجيهاته تقوم على المستندات الصحيحة سواء في اللغة أو السنة أو القراءات وغير ذلك من المستندات مما يدل على تمكنه من التفسير ، كما أظهر البحث كثرة الموارد التي رجع إليها ابن عاشور عند توجيه الأقوال ، سواء كانت موارد شرعية أو موارد لغوية ، والتي تدل على غزارة علم ابن عاشور ، وقد شهد له العلماء بالقدم الراسخة في التفسير ، كما وضح البحث معنى التوجيه في اللغة وفي الاصطلاح ، والمعنى المختار له عند المفسرين ، كما سيتناول البحث المعنى المراد لكلمة (الصيغة) وسلطت الضوء على أبرزها صيغ توجيه أقوال المفسرين عند ابن عاشور من الناحية النظرية والتطبيقية ، فأكثر الصيغ استخداما عنده (وَالْوَجْهُ أَنَّ)، ثم (وَوَجْهُ ذَلِكَ) ، وأقلها صيغة (وَوَجْهُهُ أَنَّ) ، وسأتبع في البحث منهج الاستقرائي التطبيقي لتحقيق أهداف الدراسة .

الكلمات المفتاحية : القرآن الكريم - صيغ توجيه الاقوال – التفسير – الطاهر بن عاشور

Abstract:

The research includes a brief introduction about Al-Taher bin Ashour, and I will also mention - briefly - the introduction to his interpretation of The Liberation and The Enlightenment, and I will also explain the importance of directing the sayings of the interpreters, as it is considered one of the great sciences related to the Book of Allah, and the deduction of its rulings depends on understanding the evidence of the sayings and directing them in the correct direction. In addition, mastering the

skill of guidance assists the interpreter to correctly interpret meanings, criticize the statements of the interpreters, understand many of their arguments, explain the reasons behind exegetical statements, and to know the reasons for the differences between them as almost none of the issues regarding disagreement in the interpretation is devoid of the need to direct some of the sayings in them, and to know the reasons behind them which will provide a very important database for workers in the field of interpretation, and enrich the Islamic library with more research specific to the contemplation of the Qur'an. The research will also show the distinction of Ibn Ashour in directing the sayings of the interpreters, as all his directives are based on correct documents, whether in the language, the Sunnah, readings or others, which indicates his ability to interpret meanings. The research also showed the large number of resources that Ibn Ashour referred to when directing sayings, whether they were Shariaa resources or linguistic resources, which indicates the abundance of Ibn Ashour's knowledge, and scholars have testified that he was well-established in interpretation, as the research explained the meaning of guidance in language and terminology, and the meaning chosen for it by the interpreters, the research will also address the intended meaning of the word (formula) and shed light on the most prominent formulas for directing the sayings of the interpreters according to Ibn Ashour from the theoretical and practical point of view. His most frequently used formulas are (Wa Al-Wajhu anna), then (Wa wajhu thaleka) and the least of it is the formula (Wa wajhu anna), and I will follow in the research the applied inductive method to achieve the objectives of the study.

Keywords: The Noble Qur'an – Formulas of directing the sayings - interpretation - Al-Taher bin Ashour.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن كتاب الله العزيز هو أجل الكتب وأشرفها على الاطلاق، وعليه؛ فإن العلوم المرتبطة به هي من أجل العلوم قدرا وأرفعها منزلة، فإن شرف العلوم من شرف المعلوم، ومن هذه العلوم المتميزة علم التفسير والذي يحظى بأهمية الكشف عن مراد الله -سبحانه وتعالى- في آيات القرآن الكريم وسوره. وكما هو معلوم بأن التفسير يحتاج لعناصر عدة حتى يؤتي أكله ويعطي ثماره على الوجه الصحيح، ومنها معرفة توجيه أقوال المفسرين وصيغهم في ذلك ،ويعتبر تفسير الطاهر بن عاشور من أهم كتب التفسير الحديثة التي جددت في حقل التفسير وخصوصا في توجيه الأقوال ،لهذا كان من الضروري أن يفرد بحث صيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور، وقد حرصت ان يكون بحثي هذا في إبراز هذه الصيغ عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ،ومما أثار اهتمامي للمضي في هذا البحث أنه وبحسب اطلاع الباحث لم يفرد بدراسة مستقله ، ونظرا للأهمية البالغة التي يحظى بها توجيه أقوال المفسرين وصيغ المفسرين التي عبروا بها ، فقد أولاه العلماء اهتماما خاصا، وكان ممن أهتم به العلامة ابن عاشور في تفسيره المعروف "التحرير والتنوير"، وقدم في هذا الشأن جهدا كبيرا وإسهاما متميزا يستحق الإفادة منه وتسليط الضوء عليه، وفي هذا السياق جاء هذا البحث، والله نسأل أن يتقبله منا ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

مشكلة البحث:

من المسائل الحاضرة في كتب المفسرين المعتنين بالأقوال والترجيح بينها وتحقيقها مسائل توجيه أقوال المفسرين، تطبيقا وتنظيرا، وهو باب دقيق المسلك، وممن اعتنى به تنظيرا وتطبيقا في تفسيره العلامة الطاهر ابن عاشور، فكانت الحاجة ماسة لإبراز صيغ ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية من خلال هذا البحث.

أهمية البحث وأسباب اختياره :

١- مكانة العالم الجليل الطاهر بن عاشور بين المفسرين، ومنزلة تفسيره بين التفاسير في تحقيق الأقوال والترجيح، ومن ثَمَّ فإنَّ أهمية هذا البحث تظهر في أهمية هذا الكتاب إلى جانب مكانة صاحبه في التفسير.

٢_ إبراز عبارات ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية استنباطاً من كتابه (التحرير والتنوير).

٣_ ندرة الكتابة والبحوث في توجيه أقوال المفسرين بالرغم من أهميته فهو جزء من أصول التفسير ولا يكاد يخلو منه تفسير من التفاسير.

٤_ بيان موارد ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية.

أهداف البحث:

١-التعرف على معنى التوجيه لغة واصطلاحا وبيان أهميته في التفسير.

٢-بيان موارد توجيه الأقوال التفسيرية عند ابن عاشور.
٣-إبراز صيغ ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية.
٤-بيان الجانب التطبيقي لصيغ توجيه الأقوال التفسيرية عند ابن عاشور من خلال تفسير التحرير والتنوير.

أسئلة البحث :

١- ما تعريف توجيه الأقوال، وماهي أهميته في تفسير كتاب الله تعالى؟
٢- ما الموارد التي رجع اليها ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية في تفسيره التحرير والتنوير؟
٣- ما أبرز صيغ ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية.
٤- ما مدى ظهور عبارات توجيه الأقوال التفسيرية عند ابن عاشور من خلال التحرير والتنوير.

حدود البحث:

سيقتصر هذا البحث على مواطن صيغ توجيه الأقوال التفسيرية للطاهر ابن عاشور في" التحرير والتنوير"[١].

مصطلحات البحث :

صيغ: الصيغة: الصّيغة في اللّغة من الصّوغ مصدر صاغ الشّيء يصوغه صوغاً وصياغةً، وصغته أصوغه صياغةً وصيغةً، وهذا شيء حسن الصّيغة، أي حسن العمل. وصيغة الأمر كذا وكذا، أي هيئته الّتي بني عليها (٢)

توجيه أقوال المفسرين: هو البحث عن مغزى الكلام الذي أثار إشكالاً في ذهن السامع فإذا حلَّ المفسِّر هذا الإشكال، سمي ذلك الحلّ: توجيهاً [٣]

الدراسات السابقة:

لم يتطرق أحد من الباحثين – بحسب بحثي – وبعد التواصل مع مكتبة الملك فهد الوطنية والبحث في قواعد البيانات، وسؤال المختصين، إلى بيـان ؛ عبارات توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور في التحرير والتنوير دراسة نظرية تطبيقيه؛ إلا أن هنــاك دراسات تناولت منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير بصورة عامة دون الخوض في بيان عباراته في توجيه اقوال المفسرين ومن هذه الدراسات:

١- منهج الإمام ابن عاشور في التفسير من خلال كتابه "التحرير والتنوير "جمع ودراسة تحليلية لعبد الباقي البشير محمد سليمان، رسالة ماجستير، الخرطوم جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، معهد العلوم والبحوث الإسلامية، ٢٠١٧م
٢- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير) لهيا ثامر مفتاح العلي رسالة دكتوراه طبعت سنة (١٩٩٤م). وغيرها من الدراسات.

---

(١) الطبعة المعتمدة في هذا البحث: طبعة الدار التونسية، سنة النشر: ١٩٨٤م.
(٢) لسان العرب - ابن منظور (٨ /٤٤٣) .
(٣) الفوز الكبير في أصول التَّفسير للدهلوي- ص ١٩٨.

٣- أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير دراسة نحوية دلالية، لإبراهيم سيد أحمد، رسالة دكتوراة جامعة عين شمس - كلية الألسن - قسم اللغة العربية، ٢٠٠٨ م.
٤- الترجيحات الفقهية للإمام ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير» الصحبي عتيق رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية من المعهد العالي لأصول الدين بالجامعة الزيتونية بتونس،٢٠١٠م.
٥- القواعد الأصولية اللغوية في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور دراسة تطبيقيه محمد البويسفي، رسالة دكتوراه، بكلية الأداب والعلوم الإنسانية مكناس-المغرب، ٢٠١٥م.
٦- المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير لطاهر بن عاشور من سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران. جمعاً ودراسة ونقد، لأحمد بن محمد قاسم مذكور، رسالة ماجستير، كلية: الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

وهناك دراسات وبحوث أخرى كثيرة عن تفسير التحرير والتنوير، لكني أعرضت صفحا عن ذكرها لعدم ارتباطها بتوجيه الأقوال عند الطاهر ابن عاشور، وإنما تتعلق بمنهج الطاهر في تفسيره أو اختياراته وترجيحاته، ولا علاقة لذلك بما نحن بصدده من التوجيه.

والفرق بين تلك الدراسات ودراستي:

أن دراستي خاصة بصيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور في التحرير والتنوير دراسة نظرية تطبيقيه، وغيرها من الدراسات تتعلق بجوانب أخرى عند ابن عاشور مثل منهجه أو الاختيارات والترجيحات.

منهج البحث:

سأعتمد في الدراسة على المنهج الاستقرائي التطبيقي، وذلك بذكر الأمثلة التطبيقية على صيغ ابن عاشور في توجيه الأقوال التفسيرية من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

إجراءات البحث:

١- التمثيل على مواطن الاستشهاد الخاصة بصيغ توجيه الأقوال التفسيرية عند ابن عاشور من تفسير التحرير والتنوير بعد استقرائه.
٢- دراسة مواطن صيغ توجيه الأقوال عند ابن عاشور على النحو التالي:
- نص الآية.
- بيان صيغ التوجيه عند الإمام ابن عاشور.

٣- اعتماد الرسم العثماني وعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٤- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في خلال البحث من الكتب المعتمدة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما، وإن لم يكن فيهما فإني أخرج الحديث من المصادر الأصلية.
٥- توضيح المصطلحات التي تخفى على كثير من الناس وشرحها.

٦- بيان معاني الكلمات اللغوية الغريبة التي تحتاج إلى بيان.
٧- ترجمة الأعلام.
٨- وضع الفهارس العلمية، والخاتمة، والتوصيات.

خطة البحث:

المقدمة: تشتمل على مشكلة البحث وأهميته ، وأسباب اختياره ، وأهدافه ، وأسئلته، وحدوده ، ومصطلحاته ، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته.
التمهيد: نبذه موجزة عن الطاهر بن عاشور وتفسيره.
المبحث الأول: أهمية توجيه أقوال المفسرين وموارده عند ابن عاشور، ويشتمل علي :
المطلب الأول: أهميته في التفسير. استقرائه.
المطلب الثاني: موارد التوجيه عند الطاهر ابن عاشور.
المبحث الثاني: المراد بالتوجيه لغة واصطلاحا وصيغ ابن عاشور في توجيه الاقوال وامثلة نظرية تطبيقيه ، ويشتمل علي :
المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحا
المطلب الثاني: صيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور.
المطلب الثالث: الامثلة التطبيقية.
الخاتمة: وفيها الخلاصة، وأهم نتائج البحث، وتوصياته.

التمهيد: نبذه موجزة عن الطاهر بن عاشور وتفسيره :

اسمه ونسبه:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور (٤) الشريف الأندلسي ثم التونسي (٥)، الشهير بـ الطاهر بن عاشور إذ كان عاشور الجد الأعلى لعائلة ابن عاشور أندلسي الأصل شريف النسب.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ ابن عاشور بتونس في ضاحية المرسي من أحواز تونس الشمالية في جمادي الأول عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) وقد نشأ الشيخ في رحاب العلم فبدأ بتعلم

---

(٤) انظر "محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه "لإياد الضباع (٢٢)، و" الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير) لهيا ثامر مفتاح العلي رسالة دكتوراه :(١٩ص).

(٥) الأعلام لخير الدين الزركلي :(١٧٤/٦) ط٦. والحديث فيه عن ابن عاشور كان مختصراً جدا، ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: للأستاذ / محمد محفوظ (ج٣ /٣٠٤-٣٠٩)، وشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية: للشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة (١٥٤/١) وتونس وجامع الزيتونة: للإمام /محمد الخضر حسين :(ص ١٥٤)، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: للأستاذ / عادل نويهض (٥٤١/٢).

القراءة وحفظ القرآن في السادسة من عمره، ثم حفظ بعض المتون العلمية (٦)وتعلم الفرنسية ما تيسر له ذلك، وقد حفظ مجموعة من المتون العلمية التي تهيأ الطالب إلى التعليم بالجامعة الزيتونة العلمية. فالتحق الشيخ بجامع الزيتونة سنة (١٣١٠هـ-١٨٩٣م) وكانت المواد التي تدرس بهذا المعهد الديني متنوعة بين علوم المقاصد والوسائل (٧) ، وقد ظهرت عليه علامات الذكاء، حتى نال شهادة التطويع سنة (١٣١٧هـ- ١٨٩٩م) ثم بعد حصوله على شهادة التطويع عاد الى حضور الدروس على شيوخه، ولم يزل ينهل من العلوم والمعارف حتى حصَّل وبرع في كثير من العلوم (٨)

أساتذته:

تتلمذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور على يد كبار العلماء والشيوخ وعرف بالشغف وحب العلوم من الفقه والمنطق، والبلاغة، والفرائض، وغيرها. فمن شيوخه: جده للأم الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور (٩)، وعمر ابن الشيخ المعروف بابن الشيخ (١٠) ، والشيخ سالم بو حاجب (١١) ، ومحمد النجار أبو عبد الله محمد بن عثمان (١٢)، وآخرون (١٣).

---

(٦) ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (حياته وآثاره): للدكتور / بلقاسم الغالي: (ص ٣٧).

(٧) انظر "شيخ الإسلام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية "لمحمد الحبيب ابن الخوجة:(١٥٤/١).

(٨) انظر "محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه "لإياد الضباع: (٢٥-٣٠).

(٩) هو: الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور (١٢٤٠هـ-١٣٢٥هـ)، ونشأ تحت رعاية والده الشيخ محمد الحبيب، وتلقى العلم على كبار من الأساتذة كمحمد ابن الخوجة ومحمد الطاهر ابن عاشور، فبرع في العلم والأدب، وآلت إليه المناصب الوزارية والمهمات السامية، فحقق الكثير من الإصلاحات في البلاد. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، لبلقاسم الغالي، ص:٤٠- ٤٢، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(١٠) هو: عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي ابن قاسم المعروف بابن الشيخ، (١٢٣٩هـ-١٣٢٩هـ)، تلقى العلم على يد كبار من أهل علم تونس مثل الشيخ الشاذلي بن صالح، ومحمد عاشور وغيرهم، وقد اشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة مدة درس فيها العلوم المختلفة، وعرف له الفضل في التدريس، ولم تعرف له مصنفات إلا ما حرره تلامذته من دروسه. انظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره لبلقاسم الغالي:(٤٢-٤٣.)

(١١) هو: سالم بن عمر بو حاجب النبيلي (أبو النجاة) فاضل مالكي، من أهل تونس، ولد الشيخ سنة ١٢٤٣هـ بنبلة من قرى الساحل التونسي، تعلم بجامع الزيتونة فأخذ من أعلامها كالشاذلي وابن سلامة وغيرهم، وتولى التدريس فيها، ثم الفتيا، له مؤلفات منها: شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول، تقريرات على البخاري وديوان خطب. انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف:(٤٢٦-٤٢٨) طبعة دار الفكر؛ الأعلام قاموس

رحلاته ووظائفه العلمية:

رحلاته : قام ابن عاشور برحلات إلى المشرق وأوروبا واسطنبول وشارك في المؤتمرات العلمية وكان علماً من أعلام الفكر البارزين في تونس، واشتهر بدروسه في جامع الزيتونة، خاصة في التفسير نتج عنها كتابه وهو تفسير "التحرير والتنوير". وقد جُعل الشيخ عضواً بلجنة الإصلاح التعليمي مراراً مما دفعه إلى حمل رسالته الإصلاحية، وهذه الرسالة كانت ذات صبغات علمية وتربوية وعملية. وقد أسندت إليه رئاسة الجامعة الزيتونة فأصبح شيخ الجامع الأعظم بتونس سنة ١٩٤٢م. كما انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٥٠م. إلى جانب إشرافه على تدريس كتب السنة والحديث النبوي الشريف خلال شهر رمضان بالمساجد الزيتونية وخاصة بالجامع الأعظم وبيته.

وظائفه العلمية : تقلّب الشيخ ابن عاشور في مراتب التدريس، ففي سنة ١٣٢٠هـ تولّى مهام التعليم بصفة رسميّة بالجامع الأعظم، وبعدها انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية في عام ١٣٢١هـ، وبقي بها إلى عام ١٣٥١ هـ خلا فترة مباشرته للقضاء، ثم عين وعضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم سنة ١٣٢٦هـ، كما عيّن عضواً بمجلس المدارس، وبمجلس إدارة المدرسة الصادقية سنة ١٣٢٦هـ ، ثم ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية ابتداءً من ربيع الأول ١٣٢٧هـ، والتحق بعد ذلك بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة، فكان عضواً به سنة ١٣٢٨هـ ، ثم عين شيخاً للجامع الأعظم سنة ١٣٥١هـ، وعيّن عميداً للجامعة الزيتونية سنة ١٣٧٥هـ.

وفاته:

توفي يوم الأحد، ١٣ رجب ١٣٩٣هـ، وبالميلادي سنة ١٩٧٣م، عن عمر يقارب سبعاً وتسعين عاماً، بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والإفادة، ووُرى الثرى بمقبرة الزلاج في مدينة تونس العاصمة (١٤)

تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي:٣/ ٧١، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بروت- لبنان، ١٩٨٤م.

(١٢) هو: أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، (١٢٥٥هـ -١٣٣١هـ)، فقيه مالكي من أهل تونس، أسندت إليه خطة العدالة سنة ١٢٧١هـ، ثم الفتوى، من مؤلفاته مجموع الفتاوى وبغية المشتاق في مسائل الاستحقاق وشمس الظهيرة وفقه أبي هريرة، وتحرير المقال. انظر: شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف:(ص٤٢١- ٤٢٢) الأعلام للزركلي: ٢٦٣/٦.

(١٣) انظر: شيخ الإسلام، ص ١٥٥-١٥٧، من أعلام الزيتونة، ص ٤٠-٤٦ ، محمد الطاهر، ص ٣٠-٣٩.

(١٤) انظر "محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه "لإياد الضباع :(ص ٨٧)، وانظر ترجمته في "الأعلام للزركلي:(١٧٤/٦) وتراجم المؤلفين التونسيين

نبذه مختصره عن تفسيره التحرير والتنوير :

اسم الكتاب:

يعد تفسير التحرير والتنوير من أهم انجازات الشيخ وأعظمها، فقد فسر فيه القرآن تفسيراً تاماً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وعنونه باختصار "التحرير والتنوير" وهو مختصر من عنوان طويل وهو " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ".

يعد الطاهر بن عاشور من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، ولقد احتوى تفسيره "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من ٥٠ عاما، وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الكم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها؛ "فالاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد"، ووصف تفسيره بأنه "احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير"(١٥)

وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية، ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها.

وقد نقد ابن عاشور كثيرا من التفاسير والمفسرين، ونقد فهم الناس للتفسير، ورأى أن أحد أسباب تأخر علم التفسير هو الولع بالتوقف عند النقل حتى وإن كان ضعيفا أو فيه كذب، وكذلك اتقاء الرأي ولو كان صوابا حقيقيا.

أما عن دوافع تأليف هذا التفسير، يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره: " كان أكبر أمنيتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره "(١٦).

بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون -كما يقول- عوناً للباحث في التفسير، وتغنيه عن مُعاد كثير، وهذه المقدمات العشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن، وهي:

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل.

المقدمة الثانية: في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي.

المقدمة الرابعة: غرض المفسر.

"لمحمد محفوظ :(٣٠٤/٣)، "نثر الجوهر في علماء القرن الرابع عشر "ليوسف المرعشلي :(١٢٦٢/٢)

(١٥) التحرير والتنوير (٨/١).

(١٦) المرجع السابق ، (٥/١).

المقدمة الخامسة: أسباب النُّزول.
المقدمة السادسة: في القراءات.
المقدمة السابعة: القصص القرآني.
المقدمة الثامنة: ما يتعلق باسم القرآن وآياته.
المقدمة التاسعة: المعاني التي تتحملها جمل القرآن.
المقدمة العاشرة: في إعجاز القرآن.

المبحث الأول: أهمية توجيه أقوال المفسرين وموارده عند ابن عاشور :

المطلب الأول: أهميته في التفسير واستقرائه :

مما لا شك فيه أن أي علم كتب فيه العلماء السابقون وخصوصا في علم التفسير، له نفع عميم ومكانة جليله وذلك لتعلقه بأشرف الكتب وأسماها وهو القرآن الكريم ومن أجل هذه العلوم علم توجيه الأقوال. وتكمن أهمية توجيه الأقوال للأسباب التالية:

أولاً: تعلقه بعلم التفسير:

فبه يُعرف جلالة المعاني وجزالتها لان فهم دلالات الالفاظ القرآنية وبيان معانيها، واستنباط أحكامه يتوقف على فهم توجيهها توجيها صحيحا، والتعرّف على أدلة الاقوال ومآخذها، والأسباب التي حملت على تلك الأقوال، والتخريج اللغوي لما يشكل منها.

ثانياً: يعين على تدبر القرآن:

فهم مراد الله تعالى من الآيات وتفسيرها على الوجه الصحيح لا يكون الا بتدبر القرآن، والوقوف على أسراره.

قال الجرجاني: "واعلم أنك لا تشفي الغُلَّة ولا تنتهي إلى ثَلَج اليقين، حتى تتجاوز حدَّ العلم بالشيء مجملا، إلى العلم به مفصلا، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه إلى أن يعرف منبته، ومجرى عروق الشجر الذي هو منه"(١٧).

ثالثاً: اكساب مهارة النقد الصحيح:

وإتقان مهارة التوجيه يعين المفسّر على التفسير الصحيح ويمكنه من نقد أقوال المفسّرين، وإدراك كثيرٍ من حجج المفسرين، وبيان علل الأقوال التفسيرية، ورد الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين.

"فعلم توجيه الأقوال يمكن أن يعتبر شرحاً لفهم العلماء للآية، وكيفية تفسيرهم لها، وكيف قالوا فيها بهذا القول او ذاك، وذلك لغرابة القول، او للطافته، أو لقوته"(١٨).

---

(١٧) دلائل الإعجاز ، ص٢٦٠.

(١٨) فصول في أصول التفسير للدكتور: مساعد الطيار(ص:٨٦) بتصرف.

رابعاً: التعرف على الاعجاز البلاغي للقران:

يعتبر علم البيان من أهم جوانب البلاغة تعلقاً بعلم التفسير، وعلومه وسيلةٌ أساسيّةٌ في فهم كتاب الله -عز وجل-: إذ لا ينفكُّ تدبّر القرآن وفهم معانيه عن الإحاطة بعلوم البلاغة، لذلك فتوجيه الاقوال يُنشط صور المعاني لدى المفسر لارتباطه بمعرفة مستندها اللغوي، والوصول إلى إعجاز القرآن البلاغي. فالتوجيه البلاغي في غاية الأهمية لبيان مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

قال ابن عاشور: "ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم علم دلائل الإعجاز.

قال السكاكي في مقدمة القسم الثالث من كتاب «المفتاح»: «وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين (المعاني والبيان) كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل"(١٩)

خامساً: معرفة مستندات التفسير عند المفسرين

وهو من المهارات التي يحتاجها المفسّر؛ والتي يظهر فيها تفاضل المفسّرين في علم التفسير فاذا عرف الباحث في مسائل التفسير المستند الذي رجع اليه صاحب القول في التفسير أعانه ذلك على معرفة وجهه. فيجتهد المفسر في محاولة معرفة مستند هذه الاقوال من النصّ أو الإجماع أو الاجتهاد وتتطلّب من المفسر النظر في الأقوال برويّة حتى تتبيّن له وجاهة تلك الأقوال وحجة قائلها وأصلٌ الوصول للمعنى الصحيح من الآيات ومآخذ تلك المعاني في بنائها ووجه صوابها، استنادا الى الدليل.

سادساً: معرفة أسباب اختلاف المفسرين

فغاية التوجيه هو الوصول لمعنى القول الموجَّه وكشف اللبس والإشكال فيه وبيان وجهته، وما استدل به قائله من أدلة، وما علل به من تعليلات، ودلالات فهم النصوص القرآنية عند المفسرين وتوجيهاتهم لها.

فلا تكاد تخلو مسألة من مسائل الخلاف في التفسير من حاجة إلى توجيه بعض الأقوال فيها، ومعرفة مآخذها وعللها. وكيفية الرد على أعداء ديننا الذين جعلوا من الاختلاف ذريعة للطعن في كتاب الله تعالى

قال الشاطبي: «من الخلاف ما لا يعتد به وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالفا لمقطوع به في الشريعة، وقد تقدم التنبيه عليه.

والثاني: ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة، فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالا مختلفة

---

(١٩) التحرير والتنوير (١/ ١٩).

في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه.

المطلب الثاني: موارد التوجيه عند الطاهر ابن عاشور :

تنوعت موارد التوجيه عند الطاهر ابن عاشور فكان يستقى من موارد عديدة منها : الشرعية ، واللغوية ، وغيرها على النحو التالي:

الموارد الشرعية :

١-القرآن الكريم :

من الموارد الأولى التي رجع إليها ابن عاشور في التوجيه (القرآن الكريم)، فهو قائم عنده على أن القرآن قد يُحمل بعض آياته على بعض، وقد يستقل بعضها عن بعض، وكان أغلب استخدامه له في توضيح معنى آية، أو بيان لفظة، أو توضيح دلالة.

قال ابن عاشور عن تفسير القرآن بالقرآن «ولا يعد أيضا من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يفسر بعضا آخر منها، لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض، كتخصيص العموم، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، وتأويل الظاهر، ودلالة الاقتضاء، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ومفهوم المخالفة"(٢٠)

وقد سار ابن عاشور في تفسير القرآن بالقرآن وفق هذا المفهوم الذي حدده في الفقرة السابقة.

يوجه الآيات القرآنية والمعنى المراد منها بعدة أمور ومنها:

١- السياق: ويستقى منه ما يقوِّي القول ويحدد المعنى، كونه من أبرز القرائن المعينة على فهم النص وتفسيره تفسيراً صحيحاً يكشف عن المراد منه.

٢-النظائر: ويستقى منها ما يقوِّي القول الموجه ممَّا ورد في القرآن الكريم من نظائره ممَّا اتفُّق عليه.

٣- الرسم. ويسُتقى منه في توجيه القراءات مما يقوِّي القراءة من رسم المصاحف الموافق للفظها.

٢-السُّنَّة النَّبويةَّ :

يرجع الإمام ابن عاشور في توجيه الاقوال إلى الشواهد الحديثية التي تقوي جانب التفسير، وتشهد له، يقول الإمام الشاطبي عن دور السنة في بيان مقاصد القرآن الكريم: «السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه"(٢١).

قال ابن عاشور: «فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد من المجموع الملتئم من علم العربية

---

(٢٠) التحرير والتنوير (١/ ٢٧).

(٢١) الموافقات (٤/ ٣).

وعلم الآثار، وأما الآثار فالمعني بها ما نقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من بيان المراد من بعض القرآن في موضع الإشكال والإجمال"(٢٢)

«وكان لابن عاشور حظا وافرا من حيث الاهتمام بالأحاديث والتعليق عليها، واستعان بها في مواطن كثيرة من تفسيره"(٢٣) وكانت مصادره في التوجيه بالحديث النبوي كتب السنة النبوية:

١-الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي"(٢٤).

٢- والجامع الصحيح (صحيح البخاري) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"(٢٥).

٣-وصحيح مسلم لمسلم ابن الحجاج النيسابوي"(٢٦).

٤- وسنن أبي داود لسليمان السجستاني"(٢٧).

٥-وسنن الترمذي لمحمد ابن عيسى الترمذي"(٢٨).

٦- وسنن ابن ماجة لمحمد ابن يزيد القزويني.

٧- وسنن النسائي لأبي عبد الرحمان أحمد ابن شعيب.

٣-أقوال السلف :

إذا كانت السنة النبوية تعد المرتبة الثانية في تفسير القرآن الكريم بعد تفسير" القرآن بالقرآن" فإن أقوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المرتبة التالية لها، فهم الذين سمعوا منه مباشرة وتناوبوا هذا السماع وشاركوا في مجالسه وغزواته وشاهدوا أحواله وأفعاله"

وقد استعان ابن عاشور في تفسيره بالأثر الوارد عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم_ رحمهم الله _، في توجيه الاقوال فهم الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خَيْرُ أُمَّتي قَرْني، ثمَّ الذين يَلُونهم، ثمَّ الذين يَلُونهم".

والتفسير عند ابن عاشور يرجع الى الاثار الواردة عنهم، التي لا يمكن الاستغناء عنها في فهم كتاب الله سبحانه"(٢٩).

قال ابن القيم :"لا ريب أن أقوال الصحابة في التفسير أصوب من أقوال من بعدهم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع، قال أبو عبد الله الحاكم في

---

(٢٢) التحرير والتنوير (١٨/١).

(٢٣) منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير (ص:٦١).

(٢٤) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٦/ ١٢٨).

(٢٥) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (١/ ٥٩٦).

(٢٦) ينظر على سبيل المثال التحرير والتنوير (١١/ ١٤٦).

(٢٧) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٢/ ٣٨٩).

(٢٨) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (١٧٥/١)، (١١/ ١٤٦)، (٢٤/-١٨٢- ١٨١).

(٢٩) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٢٥/ ٦٨ – ٦٩)، (٥٩/٣)، (٢/ ٢٩).

مستدركه: وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع، ومراده أنه في حكمه في الاستدلال به والاحتجاج، لا أنه إذا قال الصحابي في الآية قولا فلنا أن نقول هذا القول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله وجه آخر: وهو أن يكون في حكم المرفوع بمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لهم معاني القرآن .....فإذا نقلوا لنا تفسير القرآن فتارة ينقلونه عنه بلفظه، وتارة بمعناه، فيكون ما فسروا بألفاظهم من باب الرواية بالمعنى، كما يروون عنه السنة تارة بلفظها، وتارة بمعناها، وهذا أحسن الوجهين، والله أعلم"(٣٠).

وقد اعتنى ابن عاشور في تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين عناية فائقة حيث أكثر في تفسيره من النقل عنهم، ومن أبرز الذين أفاد منهم ابن عاشور من أعلام الصحابة: عمر بن الخطاب، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين، وقد أخذ ابن عباس نصيبا وافرا في هذا التفسير"(٣١)

فابن عاشور يورد أقوالهم مستدلا بها، ومعضدا قوله الذي يذهب إليه، وتجده أحيانا يحاول أن يوفق بين أقوالهم والمدلول اللغوي للكلمة، وقد يرد ما روى عنهم أحيانا إذا لم يمكن التوفيق بينه وبين سياق الآية، والبحث له

عن مخرج، إما بعدم ثبوت القول إلى الصحابي أو التابعي، أو قد يكون خفي عليه المعنى الحقيقي للآية"(٣٢).

كما استعان ابن عاشور في تفسيره بما جاء عن التابعين"(٣٣) "ومن الذين أورد ابن عاشور رواياتهم أو أقوال عنهم: مجاهد وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وعطاء والزهري وطاوس وابن زيد، وهم من الذين وثقهم النقاد، ومقاتل والسدى وهما من الذين اختلفت الأقوال فيهم، وكانت أقوال التابعين في التحرير والتنوير تمثل جانب الاستئناس فيما تدرك بالعقول معانيه، أو ذكر بعض المرويات عن أسباب النزول، أو أول ما نزل من آيات، أو مكان نزولها"(٣٤)

٤-أصول الفقه :

بسط العلامة ابن عاشور في مقدمة تفسيره التحرير والتنوير وجه حاجة المفسر للقواعد الأصولية؛ حيث قال: «وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير، ولكنهم

---

(٣٠) إعلام الموقعين: ابن القيم (٤ /١١٧) بتصرف

(٣١) منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير المؤلف: نبيل أحمد صقر الناشر: الدار المصرية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ١ (ص٣٠٥- ٣٠٤)

(٣٢) انظر ابن عاشور ومنهجه في التفسير/ عبد الله الريس، جامعة الإمام، ١٤٠٨ هـ، ج ١، ص ٣٤٠.

(٣٣) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير: (١٦ /٢٤٦) التحرير والتنوير (١٤ /٢٥٩) التحرير والتنوير (٥ /١٢٥) التحرير والتنوير (٢ /٢٣٠)

(٣٤) كتاب منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: (١ /٣٠٥- ٣٠٤)

يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم، وهي من أصول الفقه، فتحصل أن بعضه يكون مادة للتفسير، وذلك من جهتين:
إحداهما: أن علم الأصول قد أودعت فيه مسائل كثيرة هي من طرق استعمال كلام العرب وفَهم موارد اللغة، أهمل التنبيه عليها علماء العربية؛ مثل: مسائل الفحوى ومفهوم المخالفة، وقد عد الغزالي علم الأصول من جملة العلوم التي تتعلق بالقرآن وبأحكامه"(٣٥)، فلا جرم أن يكون مادة للتفسير.
والجهة الثانية: أن علم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها، فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياتها"(٣٦)
ورجع ابن عاشور في توجيه الاقوال الى عدد من الكتب "(٣٧)منها:
رسائل في أصول الفقه لمحمد بن إدريس الشافعي.
والمحلى لعلي بن حزم الظاهري.
والبيان والتحصيل لأبي الوليد محمد ابن رشد.
والذخيرة لشهاب الدين القرافي.
ومجموع الرسائل والمسائل لتقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني.
والموافقات في أصول الفقه لأبي إسحق الغرناطي الشاطبي.

الموارد اللغوية:

رجع ابن عاشور في توجيه الاقوال الى اللغة العربية، وذكر في مقدمته دور اللغة وقواعد العربية وعلاقتهما بفهم معاني القرآن فقال: «إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعنى بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان"(٣٨).
كما قال أيضا: «واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة"(٣٩).

---

(٣٥) ذكر الغزالي في احياء علوم الدين: أن العلوم الشرعية أربعة أضرب، والضرب الرابع وهو المتممات يكون في علم القرآن وينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى: كالتفسير فإن اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا، احياء علوم الدين (١٦/١) بتصرف.
(٣٦) التحرير والتنوير (٢٥/١-٢٦).
(٣٧) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير: (١٢٣/٣)، (٣٠/٤)، (٦/ ١٢٨)، (٦/ ١٢٩،١٢٨) ، (٢/ ٣٨٩) ،(١/ ٦٨٣,٦٨٢) ،(٣/ ،١٥٧،١٥٦،١٥٥).
(٣٨) التحرير والتنوير (١/ ١٨).
(٣٩) المرجع السابق ، (١/ ٨).

١-اللغـــــــــــــة :

رجع ابن عاشور في توجيه الاقوال الى مصادر اللغة وتوثيق المفردات والألفاظ"(٤٠):

١-الأزهري في تهذيب اللغة.

٢- والجوهري في الصحاح.

٣- والراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن.

٤-والحريري في المقامات.

٥-وابن منظور في لسان العرب.

٦-والسيد محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس.

٧-والجرجاني في التعريفات.

٨-والفيروز آبادي في القاموس المحيط.

٩-وأحمد بن فارس بن زكريا في معجم مقاييس اللغة.

٢- النحـــو :

يوجه ابن عاشور الأقوال نحويا فيذكر وجوه الإعراب، ويناقش قضاياها، ويصل إلى تأييد بعضها، أو رفض آخر، أو تفضيل رأي على آخر. ويعتمد في معالجته مسائل النحو على التحليل الموضوعي ويذكر اراء النحويين "(٤١)

في الوصول إلى البعد الدلالي الذي يرتضيه ومنهم:

أبي عمرو بن العلاء، وعمرو بن عثمان سيبويه، ومحمد قطرب، ومحمد بن يزيد المبرد، وأبي إسحاق بن سهل الزجاج، يحيى بن زياد الفراء، وأبي بكر محمد الأنباري، أبي علي الفارسي، وأبي الفتح عثمان بن جني، وابن يعيش بن علي، أبي الحسين بن سيده، وجمال الدين محمد بن مالك.

٣-البلاغــة :

تعتبر البلاغة من الموارد التي اعتمد عليها ابن عاشور في توجيه الاقوال فقال في مقدمة تفسيره: "ولكن فنا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال.

كما قال: فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير"(٤٢)

---

(٤٠) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (١/ ٤٧٠)، (١/ ٥٩٨)، (١/ ٥٩٩)، (٢/ ١٧)، (١/ ٦٠٠)، (١/ ٦٢٢)، (٢٤/-١٨٢- ١٨١)

(٤١) ينظر على سبيل المثال التحرير والتنوير (١/ ٦١٨-٦١٧)، (١/ ٥٩٦)، (٢٣٦/٢)، (١٤٧/٣_ ١٤٨)، (١٤٩/٣)، (١٤٩/٣).

كما بين ابن عاشور ان سبب عجز الملحدين في محاكاة القرآن هو بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغا تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله"(٤٣)
وكان يرجع الى كتب البلاغة"(٤٤)
في توجيه الاقوال ومنها:
١-كتاب البيان والتبيُّن للجاحظ.
٢-وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.
٣- وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني.
٤-والشافية وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
٥- وأساس البــلاغة لمحمـود جار الله الزمخشري.
٦-والمفتاح لأبي يعقوب السكاكي.
٧-وتلخيص المفتاح للخطيب القزويني.

موارد أخرى :

١- كتب التفسيــر"(٤٥): من موارد ابن عاشور تفاسير المتقدمين كتفسير الكشاف للزمخشري (٤٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية"(٤٧)

---

(٤٢) التحرير والتنوير (١/ ٨).
(٤٣) المرجع السابق ، (١/ ١٠٤).
(٤٤) ينظر على سبيل المثال التحرير والتنوير (٢/ ١٠١-١٠٠)، (١/ ٣٠٦)، (١/ ٣١٤-٣١٣).
(٤٥) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (١٧٣/١)، (١/ ٥٩٣)، (٢/ ٢٣٩-٢٣٨).
(٤٦) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى، (٤٦٧ هـ- ٥٣٨هـ)، الإمام الحنفى المعتزلى، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، ولد بزمخشر قرية من قرى خوارزم، من مصنفاته: تفسيره الكشاف، وأساس البلاغة، والمفرد، والمركب. توفي بعد رجوعه من مكة إلى خوارزم. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ١٦٨/٥- ١٧٣، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، وطبقات المفسرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص: ١٠٤.
واسم تفسيره الكامل: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهو تفسير بياني، انظر: التفسير والمفسرون، لمحمد السيد حسين الذهبي، ٤٢٩/١- ٤٧٦، الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثية، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، ١٤٧٥/٢، الطبعة (بدون)، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.
(٤٧) هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الغرناطي القاضي، (٤٨٠هـ-٥٤١هـ)، كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب واسع المعرفة، بارع في النظم والإنشاء، حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر

، ومفاتيح الغيب للرازي (٤٨)، وتفسير البيضاوي (٤٩)، وغيرها(٥٠)وأهم هذه التفاسير بالنسبة له كان تفسير البيضاوي بحاشية الخفاجي، وكان يرجع باطراد للكشاف وحواشيه؛ لكونه أصل تفسير البيضاوي وأساسه(٥١).

لقد ظهرت موارد ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير من خلال ما كان يستند إليه من النقولات أو الإشارات للمصادر والمراجع التي رجع إليها طول كتابته للتفسير فقد كان أحياناً يصرح باسم الكتاب، أو باسم المؤلف، أو بهما معاً (٥٢).

يقول ابن عاشور: " وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف و المحرر الوجيز لابن عطية و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع، وتفسير الشهاب الآلوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتزاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود،

وعن أبي علي الغساني وآخرون، له التفسير المشهور باسمه. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي، ص:٥٠.

(٤٨) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ)، الملقب بفخر الدين، مفسر متكلم وفقيه شافعي، فاق أهل عصره بعلم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له تصانيف عديدة وقيمة منها تفسيره "مفاتيح الغيب" وكتب أخرى كـ "المحصول"، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وغير ذلك، وكان كثير الوعظ كثير البكاء. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٤٨/٤ -٢٥١؛ طبقات المفسرين للسيوطي، ص:١٠٠.

(٤٩) هو: أبو الخير ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، (ت ٦٨٥هـ) وهو من بلاد فارس، عرف بصلاحه وتعبده، قاض مفسر عالم بالفقه والعربية والمنطق، من أهم مصنفاته: كتاب المنهاج وشرحه فى أصول الفقه، وكتاب الطوالع فى أصول الدين، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل فى التفسير. انظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، ٣١٨/١. واسم تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة. انظر: التفسير والمفسرون للذهبي، ٢٩٦/١- ٣٠٤.

(٥٠) مثل: معاني القرآن ليحيى الفراء ، و أحكام القرآن لأبي بكر أحمد الرازي الجصاص ، و تفسير معالم التنزيل لأبي محمد المعروف بالفراء البغوي ، و مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي علي الفضل الطبرسي ، و الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ،والكشف و البيان في تفسير القرآن لأحمد النيسابوري ، و تفسير القرآن العظيم لعماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير ، و البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي ، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي ، و تفسير الشيخ محمد عبده، و تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ،التفسير والمفسرون:(١ /٢٣٩-٣٥٠)

(٥١) ينظر: مقدمة مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير (ص٧٠).

(٥٢) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، هيا ثامر العلي، ص١٢١.

وتفسير القرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام، وتفسير الإمام محمد ابن جرير الطبري، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما ينسب للراغب الأصفهاني. ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها"(٥٣).

٢-كتب القراءات"(٥٤):

من موارد ابن عاشور في توجيه الأقوال كتب القراءات ومنها:

١-السبعة لابن مجاهد.

٢-حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي.

٣-الدرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر لابن الجزري.

٤-غيث النفع في القراءات السبع للشيخ على النوري الصفاقسي.

٥-إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة.

المبحث الثاني: المراد بالتوجيه لغة واصطلاحا وصيغ ابن عاشور في توجيه الاقوال وامثلة نظرية تطبيقيه :

المطلب الأول: تعريف التوجيه لغة واصطلاحا :

أولاً: معنى التوجيه في اللغة:

هو مصدر للفعل وجَّه، وأصله مِنَ الوَجْه، قال ابن فارس (٥٥): الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة لشيء. والوَجْه مستقبل لكل شيء، يقال وجه الشيء وغيره... والوِجْهَة: كل موضوع استقبلته. قال تعالى (ﭙ ﭚ) البقرة:١٤٨

وَوَجَّهْت الشيء: جعلته على جِهَةٍ "(٥٦) "ووجه الكلام: السبيل الذي تقصدها به "(٥٧) وشيءٌ مُوَجَّهٌ إذا جُعل على جِهَةٍ واحدةٍ لا يختلف"(٥٨)

ويمكن ان نُلخص أهم المعاني اللغوية للتوجيه فيما يلي:

١-مقابلة الشيء.

٢- السبيل المقصود.

٣- مستقبل كل شيء.

---

(٥٣) التحرير والتنوير (مقدمة ج١، ص٧).

(٥٤) ينظر على سبيل المثال: التحرير والتنوير (٣٩/١٧)، (١٩٨/٧)، (٣٠٢/٤)

(٥٥) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته.سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١٢)

(٥٦) مقاييس اللغة (٦/ ٨٨-٨٩)، مادة (وجه).

(٥٧) جمهرة اللغة (٤٩٨/١)، مادة (و ج ه). وينظر القاموس المحيط، (١/ ١٦٢٠) ، مادة (و ج ه).

(٥٨) ينظر لسان العرب، (١٣/ ٥٥٥)، مادة (و ج ه).

فالوجه والتوجيه في الاستعمال اللغوي يدور حول معنى السبيل والقصد والجهة والموضع الذي تقصده.

ثانياً: معنى التوجيه في الاصطلاح:

"هو أنْ يؤتَى بكلامٍ يحتملُ معنيينِ متضادينِ على السواءِ، كهجاءِ، ومديح، ودعاءٍ للمخاطبِ، أو دعاء عليه، ليبلغَ القائلُ غرضَه بما لا يمسكُ عليه"(٥٩)أو «إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم"(٦٠).

وقد جعل الدهلوي للتوجيه مبحث في كتابه فقال:" وحقيقة التوجيه هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام المؤلف -مثلاً- فيقف الشارح عند ذلك يُيسر هذه الصعوبة ويحل كل غموض"(٦١) " فإذا حلَّ المفسِّر هذا الإشكال، سمي ذلك الحلّ: توجيهاً "(٦٢)

فيراد بالتوجيه عنده بيان وجه الكلام ومعناه، وذلك إن قول المفسر قد يكون مجملا يخفى معناه، أو يلتبس مقصوده على المبتدئ، فإذا شرح الموجه قول المفسر وفصله، وأوضح مجمله، أو بين مأخذه واستخرج علله؛ وذكر الأوجه المحتملة التي يتخرج عليها القول ليناسب معنى الآية وسياقها كان ذلك توجيها لهذا التفسير.

وبناءً على ما تقدم يمكن تحديد معنى التوجيه اصطلاحاً بتعريف يُقرِّب معناه: فأقول: التوجيه يراد به: بيان الأصل الذي بُني عليه القول في كتاب الله وملاءمته لمعنى الآية، ومراد قائله منه، وبيان وجاهة القول وصحته. وكشف اللبسِ، أو الغموض فيه.

المطلب الثاني: صيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور :

ويراد بالصيغة في اللغة: الصّيغة في اللّغة من الصّوغ مصدر صاغ الشّيء يصوغه صوغاً وصياغةً، وصغته أصوغه صياغةً وصيغةً، وهذا شيء حسن الصّيغة، أي حسن العمل.

وصيغة الأمر كذا وكذا، أي هيئته الّتي بني عليها (٦٣) فالصّيغة هي الألفاظ والعبارات الّتي تعرب عن إرادة المتكلّم ونوع تصرّفه، وقد تعددت صيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور ومنها: وجْه ووجَّه وما اشْتُقَّ منهما في كثير من المواضع، وأكثر الصيغ التي استخدمها ابن عاشور هي صيغة (وَالْوَجْهُ أَنَّ) فقد وردت في تفسيره أربعين مرة، ثم صيغة (وَوَجْهُ ذَلِكَ) حيث بلغت ثلاث وعشرون مره، وأقلها صيغة (وَوَجْهُهُ أَنَّ)حيث وردت سبع مرات فقط.

---

(٥٩) الخلاصة في علوم البلاغة (١ / ٧٣).

(٦٠) التعريفات: ص (٦٩) وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة (ج١ / ص ٣٥٠).

(٦١) الفوز الكبير في أصول التفسير ص (١٨٦).

(٦٢) المرجع السابق ، وانظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٤).

(٦٣) لسان العرب، ابن منظور (٤٤٣/٨).

المطلب الثالث :الأمثلة التطبيقية :

الصيغة الاولى :(وَوَجْهُ ذَلِكَ)

قال تعالى{* إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين}[البقرة:٢٦]

قال ابن عاشور: فإن كان محمل الفاسقين على ما يشمل المشركين واليهود الذين طعنوا في ضرب المثل كان القصر في قوله: وما يضل به إلخ بالإضافة إلى المؤمنين ليحصل تمييز المراد من المضلل والمهتدي، وإن كان محمل الفاسقين على اليهود كان القصر حقيقيا ادعائيا أي يضل به كثيرا وهم الطاعنون فيه وأشدهم ضلالا هم الفاسقون، ووجه ذلك أن المشركين أبعد عن الاهتداء بالكتاب لأنهم في شركهم، وأما اليهود فهم أهل كتاب وشأنهم أن يعلموا أفانين الكتب السماوية وضرب الأمثال فإنكارهم إياها غاية الضلال فكأنه لا ضلال سواه (٦٤)

ذكر ابن عاشور نوع القصر وبين أن القصر يكون حقيقيا اذا كان محمل الفاسقين على اليهود لان المشركين أبعد عن الاهتداء بالكتاب، وأما اليهود فهم أهل كتاب.

قال تعالى{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون}[البقرة:٤٠]

قال ابن عاشور: وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية في قوله: فارهبون للجمهور من العشرة في الوصل والوقف وأثبتها يعقوب في الوصل والوقف. وجمهور العرب يحذفونها في الوقف دون الوصل وهذيل يحذفونها في الوقف والوصل وأهل الحجاز يثبتونها في الحالين وإنما اتفق الجمهور هنا على حذفها في الوصل مثل الوقف لأن كلمة فارهبون كتبت في المصحف الإمام بدون ياء وقرئت كذلك في سنة القراءة. ووجه ذلك أنها وقعت فاصلة فاعتبروها كالموقوف عليها (٦٥)

ذكر ابن عاشور سبب حذف ياء المتكلم وهو أن كلمة فارهبون كتبت في المصحف الإمام بدون ياء أنها وقعت فاصلة فاعتبروها كالموقوف عليها، وهذا هو سبب حذف الياء.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون}[المائدة:٨]

قال ابن عاشور: وقد تقدم نظير هذه الآية في سورة النساء، ولكن آية سورة النساء [١٣٥] تقول: كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وما هنا بالعكس.

---

(٦٤) التحرير والتنوير ، (١/ ٣٦٧).

(٦٥) التحرير والتنوير (١/ ٤٥٧) .

ووجه ذلك أن الآية التي في سورة النساء وردت عقب آيات القضاء في الحقوق المبتدأة بقوله: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله [النساء: ١٠٥]، ثم تعرضت لقضية بني أبيرق في قوله: ولا تكن للخائنين خصيما [النساء: ١٠٥] ، ثم أردفت بأحكام المعاملة بين الرجال والنساء، فكان الأهم فيها أمر العدل فالشهادة.
فلذلك قدم فيها كونوا قوامين بالقسط شهداء لله [النساء: ١٣٥] فالقسط فيها هو العدل في القضاء، ولذلك عدي إليه بالباء، إذ قال: كونوا قوامين بالقسط [النساء: ١٣٥] .

وأما الآية التي نحن بصدد تفسيرها فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأول للحص على القيام لله، أي الوفاء له بعهودهم له، ولذلك عدي قوله: قوامين باللام. وإذ كان العهد شهادة أتبع قوله: قوامين لله بقوله: شهداء بالقسط، أي شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها، وأولى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى. وقد حصل من مجموع الآيتين: وجوب القيام بالعدل، والشهادة به، ووجوب القيام لله، والشهادة له[٦٦]

فذكر ابن عاشور هنا المتشابه اللفظي بين اية سورة النساء وهذه الاية وبين ان اية سورة النساء وردت عقب آيات القضاء في الحقوق، فكان الأهم فيها أمر العدل فالشهادة، واية المائدة فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله، فكان المقام الأول للحص على القيام لله، أي الوفاء له بعهودهم له، والايتين تدل على وجوب القيام بالعدل والشهادة به.

الصيغة الثانية: (وَالْوَجْهُ أَنَّ):

قال تعالى: {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُون} [البقرة:١٤]

قال ابن عاشور:" ووزن شيطان اختلف فيه البصريون والكوفيون من علماء العربية"

ثم قال: ولا أحسب هذا الخلاف إلا أنه بحث عن صيغة اشتقاقه فحسب أي البحث عن حروفه الأصول وهل إن نونه أصل أو زائد وإلا فإنه لا يظن بنحاة الكوفة أن يدعوا أنه يعامل معاملة الوصف الذي فيه زيادة الألف والنون مثل غضبان، كيف وهو متفق على عدم منعه من الصرف في قوله تعالى: وحفظناها من كل شيطان رجيم [الحجر: ١٧].

والوجه أن تشيطن لما كان وصفا مشتقا من الاسم كقولهم تنمر أثبتوا فيه حروف الاسم على ما هي عليه لأنهم عاملوه معاملة الجامد دون المشتق لأنه ليس مشتقا مما اشتق منه الاسم، بل من حروف الاسم فهو اشتقاق حصل بعد تحقيق الاستعمال وقطع النظر عن مادة الاشتقاق الأول فلا يكون قولهم ذلك مرجحا لأحد القولين. وعندي أنه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة لأن هذا الاسم من الأسماء المتعلقة بالعقائد والأديان، ويدل لذلك تقارب الألفاظ الدالة على هذا المعنى في أكثر اللغات القديمة. (٦٧)

---

(٦٦) المرجع السابق ، (٦/ ١٣٤، ١٣٥).
(٦٧) انظر : التحرير والتنوير (١/ ٢٩٠، ٢ ٩١).

فبين ابن عاشور هنا صيغة اشتقاق (شيطان) وذكر انه اسم جامد شابه في حروفه مادة مشتقة ودخل في العربية من لغة سابقة.

قال تعالى: {* إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين} [البقرة:٢٦]

ذكر ابن عاشور ان سبب نزول هذه الآية كما روى الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس أن الله تعالى لما أنزل قوله: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه [الحج: ٧٣] قال المشركون أرأيتم أي شيء يصنع بهذا فأنزل الله هذه الآية. وجاء في رواية أخرى عن الحسن وقتادة أن الله لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب بها المثل ضحك اليهود وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله فأنزل الله: إن الله لا يستحيي الآية.

"والوجه أن نجمع بين الروايتين ونبين ما انطوتا عليه بأن المشركين كانوا يفزعون إلى يهود يثرب في التشاور في شأن نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، وخاصة بعد أن هاجر النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فيتلقون منهم صورا من الكيد والتشغيب فيكون قد تظاهر الفريقان على الطعن في بلاغة ضرب المثل بالعنكبوت والذباب فلما أنزل الله تعالى تمثيل المنافقين بالذي استوقد نارا وكان معظمهم من اليهود هاجت أحناقهم وضاف خناقهم فاختلقوا هذه المطاعن فقال كل فريق ما نسب إليه في إحدى الروايتين ونزلت الآية للرد على الفريقين ووضح الصبح لذي عينين(٦٨)

ذكر ابن عاشور روايتين لسبب نزول الآية كما روى الواحدي ثم بين ان الوجه هو الجمع بين الروايات المختلفة في أسباب النزول فتكون كل فريق ذكر ماين فيكون قد تظاهر الفريقان على الطعن في بلاغة القران فقال كل فريق ما نسب إليه منهم من ضرب مثل بالعنكبوت ومنهم من ضرب مثل بالذباب وان الآية نزلت الآية للرد على الفريقين.

قال تعالى: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون} [البقرة:٢٤٥]

قال ابن عاشور :"قال النحاة كلهم بصريهم وكوفيهم: بأن (ذا) مع الاستفهام تتحول إلى اسم موصول مبهم غير معهود، فعدوه اسم موصول، وبقية أسماء الإشارة مثل اسم (ذا) عند الكوفيين، وأما البصريون فقصروا هذا الاستعمال على (ذا) وليس مرادهم أن ذا مع الاستفهام يصير اسم موصول فإنه يكثر في الكلام أن يقع بعده اسم موصول، كما في هذه الآية، ولا معنى لوقوع اسمي موصول صلتهما واحدة، ولكنهم أرادوا أنه يفيد مفاد اسم

(٦٨) التحرير والتنوير ، (١/ ٣٥٨).

الموصول، فيكون ما بعده من فعل أو وصف في معنى صلة الموصول، وإنما دونوا ذلك لأنهم تناسوا ما في استعمال ذا في الاستفهام من المجاز، فكان تدوينها قليل الجدوى.
والوجه أن (ذا) في الاستفهام لا يخرج عن كونه للإشارة وإنما هي إشارة مجازية، والفعل الذي يجيء بعده يكون في موضع الحال (٦٩)
ذكر ابن عاشور في الآية بين وجه استعمال أسم الإشارة بعد اسم الاستفهام وبين ان (ذا) يستخدم للإشارة المجازية اذا جاء بطريقة الاستفهام.
الصيغة الثالثة: (وَوَجْهُهُ أَنَّ)
قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} [البقرة:٢٩]
قال ابن عاشور "وقرأ الجمهور هاء «وهو» بالضم على الأصل، وقرأها قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بالسكون للتخفيف عند دخول حرف العطف عليه، والسكون أكثر من الضم في كلامهم وذلك مع الواو والفاء ولام الابتداء ووجهه أن الحروف التي هي على حرف واحد إذا دخلت على الكلمة تنزلت منزلة الجزء منها فصارت الكلمة ثقيلة بدخول ذلك الحرف فيها فخففت بالسكون كما فعلوا ذلك في حركة لام الأمر مع الواو والفاء (٧٠)
فهنا ذكر ابن عاشور وجه قراءة فبين أن الحروف التي هي على حرف واحد إذا دخلت على الكلمة تنزلت منزلة الجزء منها فصارت الكلمة ثقيلة بدخول ذلك الحرف فيها فخففت بالسكون.
قال تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين} [التوبة:٢٤]
قال ابن عاشور: و (العشيرة) الأقارب الأدنون، وكأنه مشتق من العشرة وهي الخلطة والصحبة.
وقرأ الجمهور وعشيرتكم- بصيغة المفرد- وقرأه أبو بكر عن عاصم وعشيراتكم- جمع عشيرة- ووجهه: أن لكل واحد من المخاطبين عشيرة، وعن أبي الحسن الأخفش: «إنما تجمع العرب عشيرة على عشائر ولا تكاد تقول عشيرات»، وهذه دعوى منه، والقراءة رواية فهي تدفع دعواه (٧١)
ذكر ابن عاشور وجه القراءة بالجمع وهو أن لكل واحد من المخاطبين عشيرة.
قال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم:٣٢]

(٦٩) التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٢).
(٧٠) المرجع السابق ، (١/ ٣٨٧) .
(٧١) التحرير والتنوير (١٠/ ١٥٣).

قال ابن عاشور: استثناء اللمم استثناء منقطع لأن اللمم ليس من كبائر الإثم ولا من الفواحش. فالاستثناء بمعنى الاستدراك. ووجهه أن ما سمي باللمم ضرب من المعاصي المحذر منها في الدين، فقد يظن الناس أن النهي عنها يلحقها بكبائر الإثم فلذلك حق الاستدراك، وفائدة هذا الاستدراك عامة وخاصة: أما العامة فلكي لا يعامل المسلمون مرتكب شيء منها معاملة من يرتكب الكبائر، وأما الخاصة فرحمة بالمسلمين الذين قد يرتكبونها فلا يقل ارتكابها من نشاط طاعة المسلم، ولينصرف اهتمامه إلى تجنب الكبائر. فهذا الاستدراك بشارة لهم، وليس المعنى أن الله رخص في إتيان اللمم (٧٢)

ذكر ابن عاشور ان الاستثناء منقطع وهو بمعنى الاستدراك، فاستثناء اللمم استثناء منقطع لأن اللمم ليس من كبائر الإثم ولا من الفواحش. فهذا الاستدراك بشارة لهم، وليس المعنى أن الله رخص في إتيان صغائر الذنوب.

الصيغة الرابعة (وهو الوجه)

قال تعالى: قال تعالى: {وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُون} [يونس:٤٣]

قال ابن عاشور: وأما معنى لا يبصرون فإنهم لا بصيرة لهم يتبصرون بها. وهو الذي فسر به «الكشاف» وهو الوجه، إذ بدونه يكون معنى: لا يبصرون مساويا لمعنى العمى فلا تقع المبالغة ب (لو) الوصلية موقعها، إذ يصير أفأنت تهدي العمي ولو كانوا عميا. ومقتضى كلام «الكشاف» أنه يقال: أبصر إذا استعمل بصيرته وهي التفكير والاعتبار بحقائق الأشياء. وأيا ما كان فالمراد بقوله: لا يبصرون معنى التأمل، أي ولو انضم إلى عمى العمي عدم التفكير كما هو حال هؤلاء الذين ينظرون إليك سواء كان ذلك مدلولا لفعل يبصرون بالوضع الحقيقي أو المجازي. (٧٣)

ذكر ابن عاشور ان المراد ب (لايبصرون) هو المعنى الحقيقي والمجازي، ويكون المعنى انه نضم إلى عمى العمي عدم التفكير كما هو حال هؤلاء.

الخاتمة :تشتكل على أهم النتائج التي انتهيت إليها :

١-يعد توجيه أقوال المفسرين من العلوم الجليلة لتعلقه بكتاب الله فاستنباط أحكامه يتوقف على فهم أدلة الاقوال ومآخذها وتوجيهها توجيها صحيحا.

٢-تنوع موارد التفسير عند ابن عاشور في توجيه الأقوال وكان من أبرزها: الموارد الشرعية، والموارد اللغوية.

٣-لابن عاشور دور بارز في توجيهاته للأقوال المختلفة في تفسيره، وقد شهد له العلماء بالقدم الراسخة في التفسير ويعد تفسيره (التحرير والتنوير) من أجلّ التفاسير وأعلاها شأناً.

---

(٧٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ١٢١).

(٧٣) التحرير والتنوير (١١/ ١٧٩).

٤-عند توجيه ابن عاشور للأقوال يبني رأيه على الدليل فيرجح ما يرجحه الدليل، ويرد ما رده الدليل.
٥-تعددت صيغ توجيه اقوال المفسرين عند ابن عاشور، فأكثرها استخداما صيغة (وَالْوَجْهُ أَنَّ)، ثم (وَوَجْهُ ذَلِكَ) ، وأقلها صيغة (وَوَجْهُهُ أَنَّ).

المصادر والمراجع :

١-ابن عاشور ومنهجه في التفسير، عبد الله الريس، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين ١٤٠٨ هـ.
٢-أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (حياته وآثاره): للدكتور بلقاسم الغالي، طبع دار ابن حزم بيروت.
٣-إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٤-الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م
٥-الإيضاح في علوم البلاغة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل - بيروت الطبعة: الثالثة.
٦-البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).
٧-التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م عدد الأجزاء: ١ (٢٠٤)
٨-جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م عدد الأجزاء: ٣
٩-الخلاصة في علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: * عدد الأجزاء: ١
١٠-دلائل الإعجاز في علم المعاني المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١١-الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره (التحرير والتنوير) لهيا ثامر مفتاح العلي رسالة دكتوراه، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، ١٩٩٤م)

١٢-فصول في أصول التفسير المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ عدد الأجزاء: ١
١٣-الفوز الكبير في أصول التَّفسير، المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي الناشر: دار الصحوة - القاهرة الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
١٤-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (مؤسسة الرسالة – بيروت) لقاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء: ١.
١٥-لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، (دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى).
١٦-مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، مؤلف الكتاب: شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، رسالة علميه مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في البلاغة والنقد.
١٧-محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، المؤلف: إياد خالد الضباع، دار القلم، دمشق.
١٨-مقاصد الشريعة الإسلامية المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
١٩-مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (دارالفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧م.تحقيق: عبد السلام محمد هارون).
٢٠-منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، المؤلف: نبيل أحمد صقر الناشر: الدار المصرية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٢١-الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٧